دراسات كتابية وآبائية
Biblical and Patristic Studies

مسيحنا يفتتح خدمته في عرس قانا الجليل

عند

القدِّيس مار يعقوب السروجي و بعض آباء الكنيسة

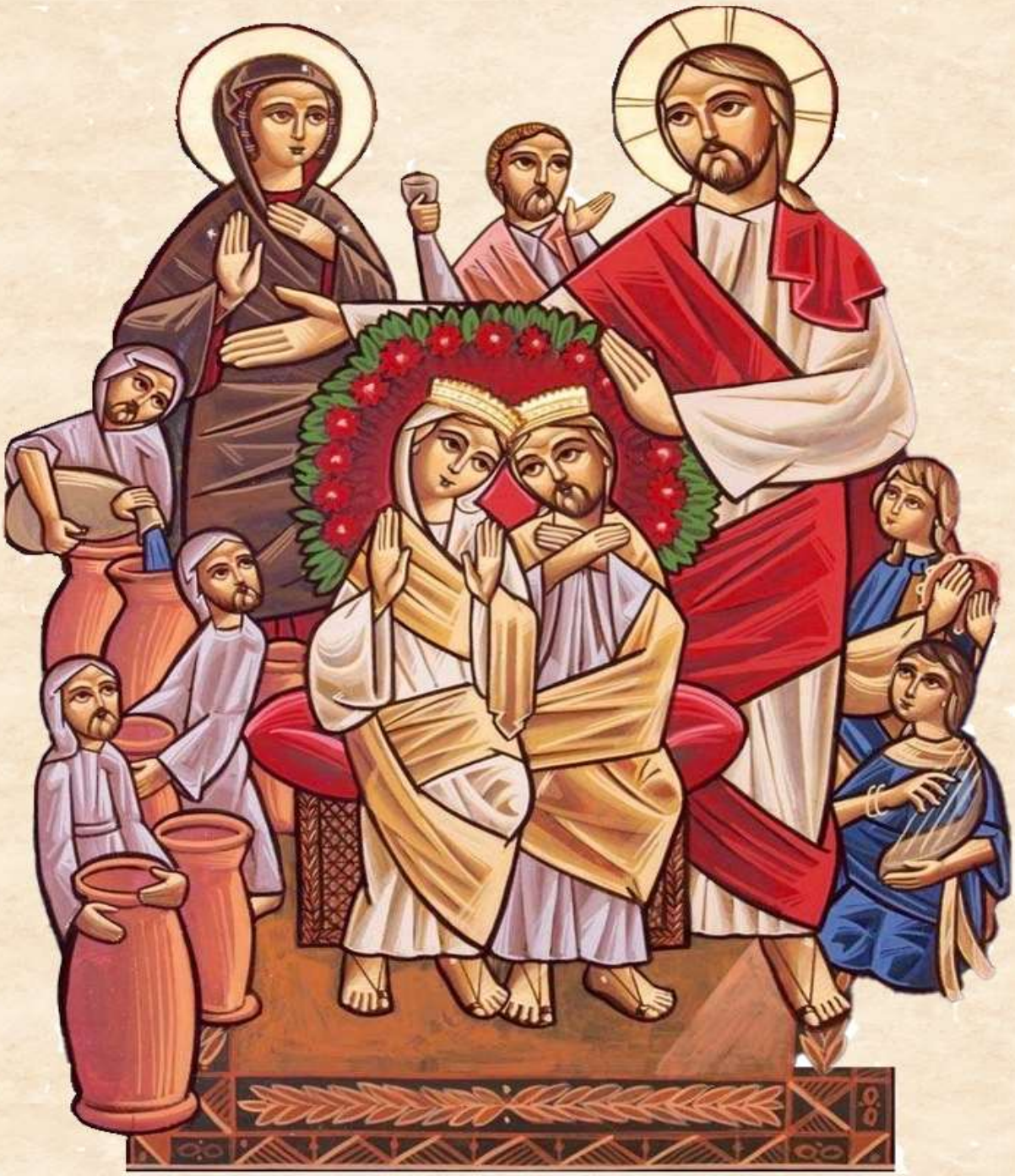

إعداد: القُمص تادرس يعقوب ملطي

يفتتح خدمته مسيحنا

في عرس قانا الجليل

عند

القدِّيس مار يعقوب السروجي

مع بعض آباء الكنيسة

2021

إعداد وتعليق

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس بسبورتنج – الإسكندرية

كنيسة الملكة القديسة مريم والأمير تادرس

ساوث برانذويك – الولايات المتحدة الأمريكية

العريس مفرح النفوس

عرس قانا الجليل والعرس المسياني

سبق لنا الحديث عن عماد مسيحنا محب البشر في نهر الأردن، ثم سماحه للشيطان أن يجربه، ورجع منتصرًا لحساب عروسه، الكنيسة. الآن يبدأ خدمته، ويقدم لنا الإنجيلي يوحنا بكر المعجزات التي صنعها مسيحنا، ألا وهي معجزة **تحويل الماء خمرًا في عرس قانا الجليل**. إذ قد بدأ عصرًا جديدًا مسيانيًا، فيه تتحول مياه التطهيرات حسب الناموس القديم إلى خمرٍ من صنفٍ جديدٍ.

كان اليهود يترقبون العصر المسياني المُتسِم بالفيض من الخيرات مع الفرح الفائق للطبيعة. وقد عُبِّر عن ذلك بأسلوب رمزي يبرز عجزنا عن هذا العمل المسياني بلغة بشرية، إذ جاء في باروخ الثاني 29: "يوجد على كل كرمة ألف غصن، وكل غصن يحمل ألفًا من العناقيد، وكل عنقود يحمل ألفًا من العنب، وكل عنبة تحوي كورًا cor (حوالي 120 جالون) من الخمر... هذه ستكون للذين في نهاية العالم". استقى بابياس في القرن الثاني هذه الفكرة عندما تخيّل مجيء المسيح على الأرض ليملك ألف عام وما تحويه مملكته من كروم رمزية[1].

في الإنجيل بحسب القديس مرقس بدأ السيد المسيح خدمته بالقول: "جاء يسوع إلي الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله" (مر 1:14). وفي الإنجيل بحسب القديس يوحنا يحدثنا الإنجيلي عن بدء هذه البشارة المفرحة بحضوره في عرسٍ بقانا الجليل وتحويل الماء إلى خمرٍ. كرز بحضوره، وكرز برد البهجة على العروسين وأهلهما وأصدقائهما. فإن ملكوت السموات يشبه عشر عذارى "خرجن لاستقبال العريس" (مت 25: 1)، أو "ملكًا صنع عرسًا لابنه" (مت 22: 1). وحسب السيد المسيح حلوله وسط تلاميذه تحولاً لحياتهم إلى عُرسٍ. سُئل السيد: "لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين، وأما تلاميذك فلا يصومون؟" فقال لهم: "هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم؟ مادام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا. ولكن ستأتي أيام حين يُرفع العريس عنهم، فحينئذ يصومون في تلك الأيام" (مر 2: 18-20). يقول

[1] *Fr. Tadros Y. Malaty: The Apostolic Fathers, 1993, p. 137.*

الرسول: "الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا" (2 كو 5: 17).

دعوة ربنا يسوع إلي العرس لم تكن بلا معنى، فإن كان السيد المسيح هو العريس السماوي، فإن المدعوين للعرس هم بكور كنيسة العهد الجديد، العروس الروحية. **وكأن عرس قانا الجليل قد تم حسب الناموس والتقليد اليهودي، لكنه يضم في أعماقه عُرسًا خفيًا لم يكن أحد بعد يدركه، عرس السيد المسيح مع كنيسته،** هذا الذي يمتد ليس أسبوعًا كما في الطقس اليهودي (تك 29: 27؛ قض 14: 12)، وإنما الزمن كله حتى يعلن في مجدٍ عظيمٍ في يوم الرب الأخير (رؤ 21: 2).

بخصوص عرس قانا الجليل، يؤكد الكتاب المقدس الحقائق التالية:

1. بدأ ربنا يسوع بالعمل في العُرس، لكي **يعلن حبه للبشرية، فيحملها معه إلى سماواته** كما إلى حجالٍ للعريس. نتمتع بالفرح السماوي، ونحمل انعكاس بهاء مجده علينا. إنه يؤكد أنه جاء إلى العالم ليحول حياتنا إلى عرسٍ مفرحٍ، بتحويله ماء حياتنا إلى خمرٍ يشير إلى الفرح الروحي الأبدي (إش 55:1؛ أف 18:5-20).

❖ لقد نزل كلمة الله من السماء، لكي يصير عريسًا للطبيعة الإنسانية، فأخذها مسكنًا له، لكي يخطبها ويقودها إليه، فتلد ثمار الحكمة الروحية.

القديس كيرلس الكبير

❖ الذي صنع خمرًا في يوم الاحتفال بالزواج في الستة أجران للمياه، هو نفسه الذي يفعل ذات الشيء كل عام في الكروم ... لقد فقدت سمة العجب بسبب تكرارها المستمر[1].

❖ أي عجب إن كان قد جاء إلى ذلك البيت، إلى عُرسٍ، وقد جاء إلى هذا العالم لعرسٍ؟ حقًا إن كان يأتي إلى عرسٍ، فإنه لابد أن يجد هنا عروسًا. ولكن ماذا يقول الرسول؟ "لأني خطبتكم لرجلٍ واحدٍ لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (2 كو 11: 3)... هكذا له هنا عروس قد فداها بدمه، وأعطاها الروح القدس كعربونٍ. حررها من قيود الشيطان؛ مات من أجل خطاياها، وقام لأجل تبريرها (رو 4: 25). من يقدم لعروسه مثل هذه الأمور؟... العريس

[1] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 8:1.*

الذي قيل له: "**أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن**" (يو 2: 10) يمثل شخص الرب. لأن الخمر الجيدة – أعني الإنجيل – حفظه المسيح حتى الآن[1].

القديس أغسطينوس

ينطلق بنا **القديس مار يعقوب السروجي** من العُرس المُقام في قانا الجليل إلى العُرس الذى في أعماق نفوسنا، فيقدم لنا مسيحنا الخمر الجديد المقدس الذى هو تعليمه العملي المقدس حيث عُلقَ على الصليب مُقدِّماً نفسه ذبيحة حب، ومهرًا مقدسًا لعروسه. تشرب منه نفوسنا فتمتلئ حبًا يتزايد بلا توقف، ويكشف عن أسرارٍ إلهية لا يُعبَّر عنها بلُغة بشرية، تدخل بنا إلى الأمجاد الأبدية.

يطلب **القديس مار يعقوب السروجي** من الرب: "أيها الابن كثّر الخمر الجيد في الوليمة". في طلبه هذا، يطلب المزيد مما ورد في سفر الأعمال: "كان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون (أع 2: 47). المزيد من الخمر الجيد يشير إلى المزيد من المؤمنين الذين يقبلون الخلاص بالمسيح المصلوب الذي يُقدم دمه المبذول مهرًا لعروسه كما يقدم تعاليمه المقدسة التي تدعونا لمحبة الله ومحبتنا لكل البشرية. كما يدعونا للحياة المتهللة والتسابيح السماوية

❖ أيها الابن كثّر الخمر الجيد في الوليمة، أعطني لأشرب السيول الحلوة الموجودة في تعليمك...

يا ابن الملكوت الذي دُعي إلى الوليمة، لا تتأخر عن المجيء عند نقصي،
ها قد دعوتُكَ ليس إلى قانا لكن إلى فكري. ربي هلّم وضع فيَّ سيول ترانيمك الحلوة،
كنيستك هي أعظم من الوليمة التي دُعيت إليها، كثّر على المادة التي تسكرها وتشبعها.
قادوك وذهبتَ إلى مائدة الأشياء الزائلة، هلّم لأنني دعوتُك إلى الوليمة الروحية،
هناك اتكأتَ في الوليمة مثل حقيرٍ ولم يعرفوك، اسكب موهبتك هنا لأنهم يعرفونها...
كثّرت الخمر بين الناكرين وهم لا يستحقون لأنهم شربوا وتعجبوا ولم يمجدوك كما يجب،

[1] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 8:4.*

ساعدني لأتكلم عن هذه الآية العجيبة لكي اسقي كنيستَك خمر تعليمك الجديد.
اقتربوا أيها السامعون وأرضعوا الحلاوة من التعليم، واشكروا النعمة كما يجب،
بإيمانكم يخزى الذين شربوا ولم يسبّحوا، لأنكم سمعتم خبر الآية فقط وتعجبتم به.
الرؤيا الواضحة لم تكن شيئا بالنسبة للناكرين، هذه هي العظمة إذ جعلكم بسماع الأذن تصدّقون. هؤلاء الذين رأوا لم يفهموا بالعجائب، لكم الطوبى لأنكم أعطيتم التسبيح وأنتم لم تشاهدوا[1].

القديس مار يعقوب السروجي

2. حول ماء التطهير إلى خمرٍ، فبدء عمله هو أن **ينقلنا من حرفية الناموس حيثُ التطهيرات إلي فرح الروح،** لنعيش في عصرٍ جديدٍ ببداية جديدة. بدأ العمل مع العروسين الشابين ليؤكد السيد المسيح اهتمامه بالشباب، وطلب صداقتهم ليهبهم بهجة لا تنقطع، ويشبع احتياجاتهم التي يستحيل لأحد آخر أن يقدمها لهم.

3. إذ يدخل بنا إلى عرسه الأبدي، إنما **يقيمه في هيكل قدسه،** لذا قام بتطهير الهيكل (يو 2: 13–17). لقد طلب اليهود آية (يو 2: 18)، أما هو فقدم آية موته وقيامته (يو 2: 19)، التي لم يفهمها أعداؤه بل وحاولوا تشويهها، أما أصدقاؤه فأدركوها بعد قيامته (مت 61:26؛ 40:27، يو 18:10). انتقل الإنجيلي بنا من العروس إلي عيد الفصح لنرى مسيحنا يطهر الهيكل من الباعة والصيارفة. ويؤكد إقامة هيكل جديد في ثلاثة أيام (يو 2: 19)، محولاً أنظارنا من الهيكل الحجري إلى هيكل النفس الداخلية حيث يقيم الله ملكوته في داخلنا. هكذا صار لنا في العصر الجديد هيكل جديد لا يقدُم ولا يشيخ.

أين تمت هذه المعجزة: تحويل الماء إلى خمرٍ؟

بدأ السيد المسيح عمله في **قانا الجليل،** في ركنٍ ناءٍ من الدولة، منعزلٍ عن العاصمة "أورشليم" ليعلن أنه جاء ليخدم، لا ليطلب مجدًا من الناس. جاء يخدم البسطاء الذين لا يقاومون كالكتبة والفريسيين ورؤساء الكهنة وغيرهم من القيادات الدينية.

[1] راجع الميمر 167 على الآية التي صنعها ربنا في قانا الجليل (يو 2:1–11)، الأب بول بيجان ود. بهنام سوني.

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن المخلص كان سيذهب إلى قانا سواء دُعي أو لم يُدعى. لقد أوعز لأصحاب العرس أن يدعوه، لأنه أراد أن يقدم رسالة للبشرية تخص الكنيسة والعرس السماوي.

❖ انحدرت إرادته وحثَّت الذين يدعون للعرس أن يدعوه هو أيضًا... نخسهم أمره وأيقظهم ليأتوا عنده، وبعدما يدعونه لا يتأخر عن الذهاب، كان سيذهب حتى وإن لم يدعوه، ليصنع الآية ويشعر العالم بلاهوته... كان قد دُعي بإرادته قبل أن يذهب، وبعدئذ دعاه اولئك القادمون من بيت العريس... دعوه وقادوه مثل المحتاج، وذهب أيضاً لأنه كان قد تهيأ ليسلك طريقه العظيمة[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يرى Bede أن "**قانا الجليل**" تعني "**غيرة الهجرة**". وكأن العرس الروحي يتحقق مع أولئك الذين لهم غيرة في المباراة نحو الهجرة من الرذائل إلى الفضائل، ومن الأرضيات إلى السماويات، وذلك بالرجاء والحب.

❖ يلاحظ المستمع المدقق أن الاحتفال (يو 2: 1)، لم يتم في أورشليم بل خارج اليهودية، فكان التجمع للاحتفال في مدينة للأمم (مت 4: 15). من الواضح جدًا أن مجمع اليهود رفض العريس السماوي، لكن كنيسة الأمم قبلته بقلبٍ متهللٍ[2].

القديس كيرلس الكبير

هذا هو أول زواج مسيحي تم في العالم، كان حسب مشيئة الله، وإلا ما كان أصحاب العرس قد دعوا يسوع ومن معه. أما حضور القديسة مريم العذراء واهتمامها بالعرس، فإنها كانت مثالاً حيًا للعروس الطاهرة التي تفتح قلبها بالحب لكل إنسانٍ. "**كانت أم يسوع هناك**" (يو 2: 1) غالبًا ليس كأحد المدعوين، وإنما كأحد أفراد الأسرة، لهذا أدركت أن الخمر قد فرغت، الأمر الذي لا يدركه المدعوون بل أصحاب العرس. هذا لم يحدث بلا معنى، فإن كان هذا

[1] راجع الميمر 167 على الآية التي صنعها ربنا في قانا الجليل (يو 2:1-11)، الأب بول بيجان ود. سوني.

[2] *Exposition on St. John PG 73:223- 226.*

العرس هو أول آية صنعها يسوع ليربط بين العهد القديم والعهد الجديد، فإن أم يسوع وهي من سبط يهوذا أحد أفراد عائلة العهد القديم تتوسط لدى ابنها ليعلن بهجة الخلاص المفقودة، فقد فرغ خمر الفرح، وانقطع الأنبياء إلي فترة طويلة، وساد الحزن والمرارة على الشعب.

لماذا قيل: "ودُعي أيضًا يسوع وتلاميذه إلى العرس" (يو 2: 2)؟

عدم مفارقة السيد المسيح وتلاميذه للعرس يكشف عن روح العروسين وأهلهما وأصدقائهما. كان الجميع يسلكون في الرب، فلا يدعون يسوع إلى حين ليستأذن ويتحول العرس إلى حياة متسيبة.

❖ لم يأتِ لكي يشترك في العرس، بل بالأكثر يحقق معجزته، ويُقدس بدء الميلاد البشري الذي يتعلق بالجسد. كان لائقًا بذاك الذي جاء لتجديد طبيعة الإنسان نفسها وتقديمها بكاملها إلى حالٍ أفضلٍ، فيقدم بركته ليس فقط لمن ولدوا بالفعل، وإنما أيضًا يُعد البركة للذين يُولدون فيما بعد، مقدسًا مجيئهم في هذا العالم... **بتقديس الزواج، أزال الحزن القديم على الولادة**[1].

❖ قيل للمرأة من قبل الله: "بالحزن سوف تحبلين" (تك 16:3). ألم تكن الحاجة بالأكثر إلى القضاء على هذا اللعنة أيضًا، وإلا كيف يمكن فداء زواجٍ مدان؟ لكن لأن المخلص هو محب البشر فهو الذي يرفع هذه اللعنة، إذ **هو فرح الكل وسعادتهم. لقد أكرم الزواج بحضوره، لكي يزيل العار القديم الخاص بالحبل.** لأنه إن كان أحد في المسيح فهو **خليقة جديدة**، الأشياء القديمة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا" (2 كو 17:5).

القديس كيرلس الكبير

يرى مار يعقوب في هذا العُرس رب المجد **يسوع النور الحقيقي** الذى ينطلق بنا من الفساد إلى عدم الفساد، ومن الظلمة إلى **النور السماوي**، ويسكب جماله على النفس البشرية بكونها عروسه المقدسة. أما المدعوون للعُرس فهم السمائيون الذين يدهشون لحب المُخلّص العجيب. أقام القدوس من الأمم التي كانت تعبد الأوثان وتتلذذ بالرجاسات عروسًا له وجعلها أيقونة لعريسها السماوي، لا تطيق الفساد الذى عاشت فيه زمانًا هذا مقداره. يتطلع إلينا السمائيون

[1] *Exposition on St. John PG 73:276.*

فيجدوننا نَسكر بعمل عريسنا الخلاصي، ونطلب دومًا الاتحاد معه لنحيا به إلى الأبد في أمجادٍ لا يُعبَّر عنها.

❖ أتى ليخطب **عروس النور** بصلبه، فتوجه أولاً حيث كانت توجد العروس الزمنية.
كان يجمُل به أن يصنع النصرة في العرس، ليتتلمذ كل المتكأ بتلك الأعجوبة.
كان المسيح أيضًا عريسًا قديم الأجيال، وقد أتى ليخطب كنيسة الشعوب بذبيحته...
دعوه وذهب حتى عندما يدعوهم يذهبون معه، واتكأ عندهم ليُتكئهم على مائدته.
أظهر هناك أن طريق الزواج طاهرة، والزواج مُتقن جيدًا من قبل الله...
لو كان الزواج ذاته والشركة دنسَين، لما دخل واختلط في وليمته.
لو لم تكن طريق العرس جميلة، (وولادة الأطفال) مقدسة لما كان يحل في مريم بقداسة[1]...
دخل إلى العرس وهو يحمل الهدية خفية، واتكأ في الوليمة ليبارك سرير الشركة.
رأى بأن الزواج مُبارك جدًا بواسطة أبيه، وأن خدر العروس الزمنية طاهر.
رأى أن العرس لا يقترب منه الدنس، فأراد المدعو أن يبدأ العجائب منه.
وجد بأن التعليم يجمُل في الوليمة، فاشتاق أن تُشرق كرازته هناك.
أراد الحكيم أن يصنع آية العجب بالخمر، ليفيض هناك التعليم مع الوليمة[2].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ لم يأتِ المخلص إلى العرس بإرادته وحده، بل بدعوةٍ، أي برجاء وإلحاح أصوات القديسين، ولكن الخمر فرغت ولم يعد لدى المحتفلين أي شيء، لأن الناموس لم يكمل شيئًا، ولم تعطِ الوصايا الموسوية الفرح، ولم يستطع الناموس الطبيعي المغروس فينا أن يخلصنا.

القديس كيرلس الكبير

❖ كما قلت سابقًا إنه كان معروفًا في الجليل، لهذا دعوه في العرس، وقد لبى الدعوة، لأنه لم ينظر إلى كرامته، إنما نظر إلى إحسانه إلينا، لأن الذي لم يستنكف من أن يأخذ صورة عبد

[1] كان بعض الغنوصيين يعتقدون أنه لا يجوز للكاملين أن يتزوجوا ويحسبون الزواج وولادة الأطفال من عمل الشيطان.
[2] راجع الميمر 167 على الآية التي صنعها ربنا في قانا الجليل (يوحنا 2:1-11)، الأب بول بيجان ود. سوني.

(في 2: 7)، أولى به وأليق ألا يترفع عن أن يحضر في عرس عبيده. ومن اتكأ مع عشارين وخطاة (مت 9:13) أليق به ألا يمتنع عن أن يتكئ في العرس.

الذين دعوا المسيح لم يدركوا التمييز الواجب من أجله، ولا دعوه على أنه شخص عظيم، إنما دعوه كشخصٍ بسيطٍ كواحدٍ من الكثيرين على أنه معروف عندهم. هذا المعنى ذكره البشير مستورًا إذ قال: وكانت أم يسوع هناك"، فعلى نحو ما دعوها، وكذلك دعوا يسوع أيضًا[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

أمومة القديسة مريم واهتمامها باحتياجاتنا

يقول الإنجيلي: "**ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر**". (يو 2: 3) لم يذكر الإنجيلي أن القديسة مريم قد دُعيت للعرس، بل دُعي يسوع وتلاميذه الخمسة (في ذلك الحين)، لكنها كانت حاضرة غالبًا بكونها أحد أفراد العائلة. **إذ يُدعى السيد المسيح للحضور بالصلاة، يحضر ومعه قديسيه ليحول الفرح إلى كنيسة مقدسة، ويفيض على العروسين والحاضرين من ينابيع فرحه السماوي.** حتى المؤمن في مخدعه يشعر بالحضور الإلهي، كما يشعر أن السماء ليست ببعيدة عنه، وأن الموت يعجز عن أن يعزل الكنيسة المجاهدة عن الكنيسة المنتصرة في السماء. فلا نكف عن الصلاة من أجل الراقدين، ولا يكف الذين في الفردوس عن الصلاة من أجل خلاص كل البشرية.

❖ رأت مريم الطوباوية ان الخمر قد نفذ، وكانت قد عرفت بأنه صار المجال مناسبًا للتعليم...

قالت الذكية فقط: لا يوجد خمر، غير أنها في فكرها كانت تقول مثل هذه الأمور:

أظهر قوتَك بالمعجزات لأنك ابن الله،

هوذا الوقت قد حان ليشعر العالم بقدرتك العاملة،

أنت ابن الله فاظهر قوتك بالحقيقة وادعُ الأرض لتؤمن بأنك الإله،

[1] *Homilies on St. John, Hom. 21:1.*

إلى متى تصغّر نفسك بينما أنت إله؟ قم وبيّن إلهيًا بأسك للعالم،
يا مثري الكل لماذا تسلك بالفقر؟ افتح خزائنك ووزع ثرواتك بين المحتاجين،
افتقد بحنانك العريس الذي تتكئ على مائدته،
لئلا ينتشر الشعور بالعوز في البيت الذي دعاك،
كانت هذه الغاية موضوعة في فكر مريم عندما قالت لابنها: ليس لهم خمر[1].

القديس مار يعقوب السروجي

هل كانت القديسة مريم تؤمن أن ابنها قادر أن يُقدم للعرس خمرًا بطريقةٍ معجزية؟

لم يكن قد صنع السيد المسيح عملاً معجزيًا علانية من قبل، غير أن القديسة مريم وقد عرفت إمكانياته الإلهية وصلاحه وترفقه بالغير وتوقعت أنه حتمًا يفعل شيئًا ليسد النقص الذي في العرس.

❖ من أين جاء في ذهن أمه أن تتصور في ابنها أمرًا عظيمًا، إذ لم يكن بعد قد صنع أية معجزة، حيث يقول الإنجيلي: هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل" (يو 2: 11)... الحبل به نفسه والظروف المحيطة به قد أوحى لها بفكر عظيم للغاية من جهة الطفل، إذ قال لوقا: "إذ سمعت كل الأقوال عن الطفل كانت تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها" (راجع لو 2: 51)[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"**ليس لهم خمر**": هذا هو حال إسرائيل إذ توقف ظهور أنبياء غالبًا لمدة 300 عامًا، زالت عنهم بهجة الخلاص. وكما يقول يوئيل النبي: "اصحوا أيها السكارى وابكوا وولولوا يا جميع شاربي الخمر على العصير، لأنه قد انقطع عن أفواهكم" (يؤ 1: 5). يسألهم النبي أن يصحوا ويتيقظوا عن سكرهم، إذ شربوا خمر العالم الذي أفسد عقولهم وحطم حكمتهم الحقيقية. يليق بهم أن يفيقوا من السكر ليبكوا ويولولوا على ما وصلوا إليه من حرمان، ويتمتعوا من خمر الحب

[1] راجع الميمر 167 على الآية التي صنعها ربنا في قانا الجليل (يو 2:1-11)، الأب بول بيجان ود. سوني.

[2] *Homilies on St. John, Hom. 21:2.*

الإلهي القادر أن يملأ أعماقهم بالفرح الإلهي الحقيقي! ليبكِ إسرائيل القديم ويولول، لأنه قد انقطع عن فمه عصير الخمر السماوي الجديد برفضهم سكنى الروح فيهم، وليفرح إسرائيل الجديد – مؤمنو العهد الجديد – ويتهللون إذ رفضوا خمر العالم، أي أعمال الإنسان القديم لينعموا بخمر الروح المحييّ، ويتمتعوا ببرّ المسيح! يقول الرسول: "هكذا تملك النعمة بالبرّ للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا" (رو 5: 21).

لقد اكتشفت أم يسوع، ابنة إسرائيل، ما حلّ بكل شعبها، فصرخت إلي العريس السماوي الذي وحده قادر أن يفيض حياض المعاصر خمرًا وزيتًا (يؤ 2: 24). باسم البشرية كلها رددت قول أبيها داود النبي: "رد لي بهجة خلاصك" (مز 51).

ما أعلنته القديسة مريم خلال خبرتها بالعرس الروحي الجديد الذي تحققت منه حين أحنت رأسها، وقبلت تجسد الكلمة في أحشائها، فصارت أعماقها حفل عرس لا يُعبر عنه. إذ ترنمت قائلة: "تعظم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلصي" (لو 1: 46). هذا هو خمر الله الذي يبهج الروح، ويرد المجد والبهاء، ليحيا المؤمنون في عرسٍ لا ينقطع. "كفرح العريس بالعروس يفرح بكِ إلهك" (إش 6: 5). تصرف القديسة مريم يكشف عن أمومة المؤمن واهتمامه بسد احتياجات الغير وليس احتياجاته هو، وأن **يلجأ أولاً إلى الينبوع** لينال منه بفيضٍ ما يفوق الطبيعة. **وأن يقدم الطلب بروح التواضع حيث يعرض الإنسان الموقف دون أن يضع الحَلْ لله كما لو كان أكثر منه حكمة أو حبًا للآخرين.**

❖ اللَّه السخي جدًا لا يحتقرنا نحن الذين نجاهد جائعين إلى خيراته[1].

القديس كيرلس الكبير

خمر يسوع يسمو بجودته على الخمر الطبيعي

يقارن القديس مار يعقوب السروجي بين خمر هذا العالم الذى يجعل النفس سكرى، تفقد وعيها واتزانها وجمالها الروحي، وبين الخمر السماوي الذى له مذاق سماوي عجيب، لا تستطيع لغة بشرية أن تُعبِّر عن عذوبته وإمكانياته، إذ به تسكر العروس بحبٍ فائقٍ، تعيش في دهشة

[1] *Exposition on St. John PG 73:278.*

إذ يُعِّد لها العريس أن تجلس عن يمينه. يطَوبها السمائيون لأنها إذ كانت في الفساد صارت في حياة فائقة سماوية مُزينة بالمجد الأبدي.

❖ نفذ الخمر الطبيعي الذي لم يكن ينفع، ليفسح المجال لخمر يسوع الذي يفيد.

نفذت المادة البسيطة التي أنجبتها الكروم، لكي يُظهر الخالق قوة قدرته العاملة.

نفذ الشراب من بين أيدي السقاة، ليشرب الجمع خمر بشارة ابن الله السخي جدًا...

صلحت المياه التي صارت خمرًا، وأحرجوا العريس وذمّوه بسببه،

حيرهم الشراب الجديد الذي اكتسب طعمًا حتى أنهم ذمُّوا (الشراب) الأول، (قائلين): ليس بشيءٍ

خفّت قيمة الخمر الطبيعي الذي يملكه العريس، وانتصر خمر يسوع في الوليمة،

صارت مادة الكروم سخرية أمام المدعوين، وهذه المياه التي صارت خمرًا أدهشت كل واحدٍ.

القديس مار يعقوب السروجي

لماذا دعاها "يا امرأة"؟

"قال لها يسوع: ما لي ولكِ يا امرأة؟ لم تأتِ ساعتي بعد" (يو 2: 4). لم يلقِ السيد المسيح باللوم على العروسين أو أهلهما، لأنهم لم يعدوا خمرًا كافيًا، ولم يلم والدته لأنها تدخلت في الأمر، إنما أوضح لها أن لكل عملٍ وقته أو ساعته المناسبة.

يتعجب البعض كيف يدعو يسوع أمه "**يا امرأة**،" لكن هذه الدهشة تزول حين نراه علي الصليب يكرر: "يا امرأة هوذا ابنك"، فهو يتحدث معها في بدء خدمة الآيات التي تمثل إشارة لبدء حمل الصليب، حيث يُستعلن شخصه فتثور قوى الظلمة ضده لتخطط لموته. فهو لا يتحدث معها بكونها أمه، لأنه ليس من حقها أن تحدد ساعة الصليب، إنما هذا حق الآب الذي أرسله. فقد جاء يتمم مشيئة الآب أن ببذل ذاته من أجل خلاص العالم.

حقا لقد رافقته القديسة مريم في أول معجزة وهي لا تدري أنها بدء ساعة الصليب، وبقيت معه حتى لحظات الصليب بكونها ممثلة للكنيسة، حواء الجديدة المرافقة لآدم الثاني في طريق آلامه، حتى يسكب بهاء مجده عليها. لقد قيل لها بعد الحبل بالسيد المسيح: "وأنتِ أيضًا يجوز

في نفسكِ سيف" (لو 2: 35)"، وقد بدأ يخترق نفسها في عرس قانا الجليل ليحمل جراحات الحب!

لم يقل "يا أماه" بل "**يا امرأة**"، لأن ما يمارسه بخصوص تحويل الماء خمرًا لا يصدر بكونه إنسانًا أخذ جسدًا منها، وإنما بعمل لاهوته. حقًا ليس انفصال بين لاهوته وناسوته، وما يمارسه السيد المسيح هو بكونه كلمة الله المتجسد، لكن بعض الأعمال خاصة به كابن الله الوحيد، والبعض بكونه ابن الإنسان.

لماذا قال "**لم تأتِ ساعتي بعد**" **(يو 2: 4)**، وقام في نفس الساعة بعمل المعجزة؟ أوضح لها أن ساعته للقيام بمعجزات علنية أمام الجميع لم تأتِ بعد، لكنه يعمل دومًا. وقد تمم الآية في هدوء بعد أن قدم الخدام الأجران حتى أن رئيس المتكأ والعريس لم يعرفا ذلك، وإنما الخدام وحدهم عرفوا.

❖ لكي تتأكد من احترامه العظيم لأمه استمع إلى لوقا كيف يروي أنه كان "خاضعًا لوالديه" (لو 2: 51)، ويعلن الإنجيلي (يوحنا) كيف كان يدبر (السيد المسيح) أمورها في لحظات الصلب عينها. فإنه حيث لا يسبب الوالدان أية إعاقة في الأمور الخاصة بالله، فإننا ملتزمون أن نمهد لهما الطريق، ويكون الخطر عظيمًا إن لم نفعل ذلك. أما إذا طلبا شيئًا غير معقول، ويسبب عائقًا في أي أمر روحي، فمن الخطر أن نطيع! ولهذا فقد أجاب هكذا في هذا الموضع، وأيضًا في موضع آخر يقول: "من هي أمي؟ ومن هم إخوتي؟" (مت 12: 48)، إذ لم يفكروا بعد فيه كما يجب. وهي إذ ولدته أرادت كعادة بقية الأمهات أن توجهه في كل شيءٍ، بينما كان يلزمها أن تكرمه وتسجد له، هذا هو السبب الذي لأجله أجاب هكذا في مثل هذه المناسبة[1].

❖ لقد اهتم بالغير واستخدم كل وسيلة ليغرس فيهم الرأي السديد الخاص به، فكم بالأكثر كان يليق به أن يفعل ذلك مع أمه[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

---

[1] *Homilies on St. John, Hom. 21:2.*
[2] *Homilies on St. John, Hom. 21:2.*

❖ قال لها: ما لي ولكِ يا امرأة، بينما هي أمه كما لو قال بجسارة: لا تخصكِ القدرة الآمرة، فأنا مستعد لأصنع العجب هذه المرة حتى وإن سكتِ، وبدون كلمتكِ هانذا أشرق قوة جوهري، لم تأت الساعة لأصمم تنفيذ الفعل، عندما أريد، سأصنع القوات، إرادتي لا تحتاج إلى الاستعداد قبل الوقت. بنفخة صغيرة يسهل علي أن افعل بسرعة، وعندما يصدر أمري لا يوجد فيه تأخير.

طرفة العين ليست سريعة مثل قدرتي الفاعلة، فلماذا التفكير بالأعجوبة قبل الأوان؟...

بكلمتها أشرق إيمانها، وبكلمته ظهرت قدرته العاملة.

كانت تعرف أن الابن الذي أتى بدون زواج يقدر أن يُوجد الخمر الجيد بدون الكروم.

كان مستعدًا أن يعمل الآية في الوليمة، ولو سكتت لما تأخر من تنفيذ فعله.

كانت تعرف بأنه كما أتى المجوس لإكرامه، ستُصنع الأعجوبة بإرادته،

كانت متيقنة بأنه كما سكب الحليب في ثدييها، يقدر أن يملأ الأجران شرابًا جديدًا.

استنادًا إلى هذه الأمور التي رأتها مريم، قالت له: لا يوجد خمر حتى يصنع الآية[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن السيد المسيح كان يود أن يأتي الطلب من الذين كانوا في حاجة إلى ذلك وليس من أمه. لأنه إن كان ما يفعله يقوم علي طلب صديق له فمع كونه أمرًا عظيمًا لكن قد يتشكك البعض في الأمر، أما إذا سأل المحتاجون ذلك فلا يحوم الشك حول المعجزة، ويكون النفع أعظم. يشبه **الذهبي الفم** السيد المسيح بطبيبٍ ماهرٍ متى دخل منزلاً به مرضى كثيرون، فإنه إن تحدث مع الأم أو مع أقربائهم وليس مع المرضى يتشككون فيه ويتضايقون.

❖ أراد أن يُظهر أنه يعمل كل الأشياء في الوقت المناسب، ولا يفعل كل شيء في الحال... إنه هو الذي وضع نظام الفصول، إذ هو خالقها. لذلك يقول: "**ساعتي لم تأتِ بعد**". وهو يعني بهذا أنه لم يكن قد أعلن بعد لكثيرين، ولم يعد بعد له خورس تلاميذه... علاوة على

[1] راجع الميمر 167 على الآية التي صنعها ربنا في قانا الجليل (يوحنا 2:1-11)، الأب بول بيجان ود. سوني.

هذا فإنني يجب أن أُخبر بذلك ليس منكِ، أنتِ أمي، فسيُشك في المعجزة. يليق بالذين يريدون الخمر أن يأتوا ويطلبون مني ليس لأني محتاج إلى ذلك، ولكن لكي بإجماعهم الكامل يقبلون المعجزة ولا يشكون فيّ إني المسيّا المنتظر وينكرون لاهوتي. فالذي يعرف أنه في عوز يصير شاكرًا عندما ينال عونًا، أما الذي ليس لديه الإحساس بالاحتياج لن يكون لديه إحساس واضح بالمنفعة التي نالها"[1].

❖ مع كونه حريصًا علي تكريم أمه، إلا أنه كان بالأكثر مهتمًا بخلاص نفسها، ويصنع ما هو صالح للكثيرين، الأمر الذي لأجله تجسد. كلماته إذن لم تكن صادرة عن من يتكلم بجفاءٍ مع أمه، بل بمن هو حكيم في تدبيره، فيدخل بها إلي الفكر السليم، ويجعل معجزاته تُقبل بالكرامة اللائقة بها[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لا يريد أن يتسرع في القيام بشيءٍ، لأنه لا يريد أن يظهر كصانع المعجزات لمن لا يطلبه، بل ينتظر حتى يدعوه المحتاجون لا الفضوليون، فهو يعطي النعمة لمن يحتاج إليها، لا لمن يريد أن يتمتع بالمشاهدة.

القديس كيرلس الكبير

القديسة مريم تدعونا للطاعة للرب

"قالت أمه للخُدَّام: **مهما قال لكم فافعلوه**". (يو 2: 5) لم تعاتب ابنها علي كلماته، لأنها أدركت السرّ علي الأقل جزئيًا. شعرت أيضا بعلامات الرضى، فطلبت من الخدام الطاعة بما يوصيهم به.

استخدم الإنجيلي الكلمة اليونانية "**ذياكونيس**" للتعبير عن هؤلاء الخُدَّام، لتكشف أنهم خُدَّام أسرار الله الذين يعمل بهم السيد المسيح لخدمة شعبه وبهجتهم. وكنيسة العهد الجديد تدعو الشمامسة: "ذياكونيين" الذين يقومون بخدمة المذبح مع خدمة الموائد (الاهتمام باحتياجات

[1] *Hom. 22. PG 59: 126 –127.*
[2] *Homilies on St. John, Hom. 21:3.*

الفقراء والمرضي والمسجونين).

في ثقةٍ بحب السيد المسيح للخدمة وحنوه تأكدت أنه حتمًا سيتصرف ويشبع كل نقصٍ. لقد طلبت من الخُدَّام أن يوجهوا أنظارهم إليه ويسمعوا له. هذا هو دور القديسة مريم وكل القديسين ألا وهو توجيه أنظارنا إلى مسيحنا والطاعة الكاملة له.

❖ في نفس الوقت اقتربت وقالت للخُدَّام: اسمعوا وافعلوا بسرعة ما يقوله.
الحكيم أطال أناته على الفعل حتى ينفذ الخمر ويحس كل واحدٍ بما سيُصنع،
ولما صخب الشعب وكان الختن قريبا من الهروب،
قام الجبار ليفعل ما هو خاصته مثل آمر الكل[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم**[2] في تصرف القديسة مريم درسًا عمليًا في المثابرة تقدمه لنا. فمع ما قاله لها ابنها يسوع لم تكف عن العمل بمثابرة، فقدمت له الخدام، وسألتهم الطاعة له.

❖ لأنها عرفت أن استعفاءه من ذلك لم يكن عن نقصٍ في القوة لكن لتواضعه، وحتى لا يُظن أنه يفرض ذاته عليهم باختياره، متسرعًا في عمل المعجزة، لذلك قدمت الخدام إليه[3].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بدأت تعمل بأن هيّأت الخدم لكي يجتمعوا لإطاعة ما يأمر به دائمًا.

القديس كيرلس الكبير

ماذا وراء الأجران الستة؟

"**وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود، يسع كل واحدٍ مطرِين أو ثلاثة**" (يو 2: 6). كانت تُستخدم ستة أجران حسب أيام الأسبوع من الأحد حتى الجمعة، كل جرن يخصص ليومٍ معينٍ للتطهير، أما السبت يوم العبادة والراحة فلا يُمارس فيه الشخص

[1] راجع الميمر 167 على الآية التي صنعها ربنا في قانا الجليل (يوحنا 2:1-11)، الأب بول بيجان ود. سوني.

[2] Homilies on St. John, Hom. 22:1.

[3] *Cf. Homilies on St. John, Hom. 22:1.*

عملاً يحتاج إلي تطهير. ليس عجيبًا أن يحول السيد المسيح الماء إلى خمرٍ، فهو الذي يخرج من الأرض خمرًا (مز ١٠٩: ١٤-١٥)، حيث يهب الأرض أن تنتج كرومًا يُعصر عنبها ويتحول إلى خمرٍ.

بدأ موسى معجزاته في الضربات العشر بتحويل الماء إلى دمٍ فيه مرارة وموت، لأن الكل كسروا الناموس، وصاروا تحت اللعنة والموت. أما السيد المسيح فحول الماء إلى خمر، حيث قدم رسالة الخلاص المبهجة. جاء المسيح لا ليدين العالم بل ليخلص، ويهب شبعًا وبهجة ومجدًا داخليًا. دعوته الإنجيلية هي: تعالوا إلى الماء واشتروا خمرًا (إش ٥٥: ١).

لم يكن يجوز لليهودي أن يأكل ما لم يغتسل من ماء هذه الأجران (مر ٧: ٣). كما كان هذا الماء يُستخدم في بعض الطقوس الأخرى الخاصة بالتطهير. وكان المثل السائد بين اليهود: "من يستخدم ماء أكثر في الاغتسال ينال صحة أوفر في هذا العالم".

كانت هذه الأجران تُملأ بالماء فقط ولا يوضع فيها خمر، وكانت من الحجارة، حتى إذا وضع فيها خمر قبلاً لا يبقى له أثر، على عكس الفخار الذي قد يتشرب من السوائل القديمة وينضح على الجديدة. رأى زكريا الحجر الموضوع أمام وجه يسوع عليه سبعة أعين (زك 3: 9)، أي له معرفة روحية في المسيح يسوع. ورآه بطرس الرسول حجرًا حيًا يُقام منه هيكل الرب (1 بط 2: 4- 5).

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** إن الإنجيلي يؤكد إنها "**حسب تطهير اليهود**" ليُدرك الكل أنه لم يوضع فيها خمر قط بل ماء للتطهير. كما يقول إن فلسطين بلد تُعرف بقلة المياه، فلا توجد القنوات والينابيع في كل موضع لهذا كانوا يملأون الأجران بالماء، حتى لا يسرعوا إلي الأنهار متى تدنسوا في أي وقت، بل يجدون وسائل التطهير بين أيديهم[1].

يرى البعض الأجران الستة تشير إلى أزمنة العالم الستة التي مرّت بالإنسانية حتى مجيء الرب لذلك في الختم السابع في سفر الرؤيا، وكأنه يشير إلى المؤمنين الأطهار عبر كل الأجيال الذين يتمتعون بأورشليم العليا يشربون خمر الروح المفرح. هذه العصور كما يقول

[1] *Cf. Homilies on St. John, Hom. 22:2.*

القديس أغسطينوس هي: 1- من آدم إلى نوح. 2- من نوح إلى إبراهيم. 3- من إبراهيم إلى داود. 4- من داود إلى السبي البابلي. 5- من السبي البابلي إلى يوحنا المعمدان. 6- من يوحنا المعمدان إلى نهاية العالم.

يعود فيقول **القديس أغسطينوس:** [أضف إلى هذا أن الله خلق الإنسان على صورته في اليوم السادس، لأنه في العصر السادس أُعلن تجديد ذهننا بالإنجيل ليصير على صورة خالقه، وتحول الماء إلى خمرٍ، لنتذوق المسيح. هذا أعلنه في الناموس والأنبياء. لهذا وُجدت ستة أجران وأمر أن تُملأ ماءً. **هذه الأجران الستة تعني العصور الستة التي لم تكن بدون نبوات. وهذه الفترات الست انقسمت وانفصلت كما بمفاصل، تبقى فارغة ما لم يملأها المسيح...** يلزم أن يُفهم المسيح في كل النبوة[1].]

ماذا يعني بقوله: "**يسع كل واحدٍ مِطرين أو ثلاثة**" (يو 2: 6)؟ يقول **القديس أغسطينوس** أن كلمة **مِطر** في اليونانية metrou هو قياس معين، وأن رقم اثنين يشير إلى الآب والابن، والثلاثة يشير إلى الثالوث القدوس. فإنه لم يقل بعض الأجران تسع اثنين والبعض ثلاثة أمطار، بل قال إن كل واحدٍ يسع مطرين أو ثلاثة. حيث جاءت النبوات في أسفار العهد القديم تتحدث عن الآب والابن (السيد المسيح)، وحملت ضمنًا الحديث عن الروح القدس بكونه روح الآب وروح الابن في نفس الوقت. ويرى **القديس أغسطينوس** [إن الروح القدس هو روح الحب الذي يربط الآب والابن معًا. فعندما يقول اثنين يُفهم الثالوث القدوس دون أن يُعبَّر عنه، وأما القول ثلاثة فيفهم منه الثالوث القدوس ويُعبَّر عنه[2].]

قلنا أن هذه الأجران الستة تشير إلى الست حقبات التي تنبأت عن عرس السيد المسيح مع **الكنيسة التي من كل الأمم**[3].

1. الجرن الأول يبدأ **بآدم** الذي يحمل اتحادًا مع حواء وصارا جسدًا واحدًا (تك 2: 24) كاتحاد المسيح بكنيسته (أف 3: 31)، وهما **والدان لكل البشرية**، وليسا للشعب اليهودي وحده.

---

[1] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 9:6.*
[2] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 9:7-8.*
[3] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 9:10-11.*

2. الجرن الثاني يبدأ **بنوح** الممثل للسيد المسيح، وقد ضم في فُلكِه **حيوانات وطيور من كل العالم.**

3. الجرن الثالث يشير إلى إبراهيم الذي بنسله تتبارك **كل الأمم.**

4. الجرن الرابع يشير إلى داود المرتل: "قم يا الله دنْ الأرض، لأنك أنت **تمتلك كل الأمم**" (مز 82: 8)، وقد وضع نغماته آساف المرتل.

5. الجرن الخامس حيث **السبي البابلي،** فيه رأى دانيال النبي السيد المسيح كحجرٍ صغيرٍ مقطوع بغير أيدٍ بشرية وقد **ملأ الأرض كلها** (دا 2: 34).

6. الجرن السادس ينتمي ليوحنا المعمدان أعظم مواليد النساء، الذي قيل عنه أنه أعظم من نبي (مت 11: 11)، وقد تنبأ عن المسيح أنه مرسل لكل الأمم، إذ يقول "إن الله قادر أن **يقيم من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم**" (مت 3: 9). هكذا يرى **القديس أغسطينوس** أن الجرن السادس قد شهد لعرس السيد المسيح مع الكنيسة المجتمعة من الأمم. [لأنه من هذه الأمم نحن نأتي، ولكن ما كان يمكننا أن نأتي منها لو لم يقم الله من الحجارة أبناء لإبراهيم. نحن صرنا أبناء إبراهيم بامتثالنا بإيمانه، وليس بميلادنا منه حسب الجسد[1].]

"قال لهم يسوع: املأوا الأجران ماء، فملأوها إلى فوق" (يو 2: 7).

كان يمكن أن يخلق الخمر من العدم، لكنه حول الماء خمرًا، ليؤكد أنه ما جاء ليتجاهل الناموس أو يبطله، بل ليكمله، فجاء الإنجيل امتدادًا روحيًا للناموس في غير حرفية. ولكي يجعل الذين استقوا الماء بأنفسهم شهودًا على الأعجوبة الكائنة، ويشهدون أن الأعجوبة لم تكن خيالاً.

يرى **القديس أغسطينوس** أن الماء هنا يشير إلى العهد القديم "الناموس والأنبياء والمزامير"، العهد القديم كله الذي كان له مذاق الماء لمن لم يدركه روحيًا ويكتشف فيه سرّ المسيح. وقد جاء السيد ليحول الماء إلى خمرٍ مفرحٍ، له مذاق جديد وفاعلية جديدة. [كيف حوّل الماء خمرًا؟ عندما فتح فهمهم وشرح لهم الكتب المقدسة، مبتدأ من موسى وكل الأنبياء، فسكروا وقالوا: "ألم

[1] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 9:16.*

يكن قلبنا ملتهبًا فينا إذ كان يكلمنا في الطريق، ويوضح لنا الكتب؟!" (لو 24: 32). لقد فهموا المسيح في هذه الكتب، الذي لم يعرفوه من قبل. هكذا حوّل ربنا يسوع الماء إلى خمر، وصار له مذاقًا لم يختبروه من قبل، صار الآن يُسكر، الأمر الذي لم يكن له من قبل... لقد أظهر لنا أن العهد القديم هو من عنده، إذ بأمره امتلأت أجران الماء. إنها من الرب حقًا، كانت أسفار العهد القديم أيضًا، لكن لم يكن لها مذاقًا ما لم يُفهم المسيح فيها[1].]

في طاعة لوصية الرب ملأ الخدام الأجران إلي الملء، إلي الحافة العليا. هكذا لا يليق بالخادم أن يستريح حتى يتمم الوصية بأن يتلمس في خدمته عمل السيد المسيح "الملء الذي يملأ الكل في الكل" (أف 1: 23). "لأنه ليس بكيلٍ يعطي الله الروح" (يو 3: 34). ليس ما يشغل رجل الله إلا تمتع كل نفسٍ بغنى مجد المسيح الذي لا يُستقصى، فيترنم: "من ملئه نحن جميعًا أخذنا، ونعمة فوق نعمة" (يو 1: 16).

الذي حول الماء خمرا، والذي يبعث الأمطار إلينا كان قادرًا أن يملأ الأجران ماء، ثم يحوله إلى خمرٍ. لكنه في حبه للبشرية لا يتجاهل التزامنا بالعمل معه. فمادام في استطاعتنا أن نملأ الأجران ماءًا نعمل ما في وسعنا، ويعمل هو ما يستحيل علينا عمله. هكذا في كثير من الأعمال **يهبنا كرامة العمل معه ولحساب ملكوته فينا**، فيطلب من الحاضرين أن يرفعوا الحجر عن القبر، ويأمر لعازر أن يخرج. وهو يهب الحياة والقيامة، ويطلب من التلاميذ أن يحلوا الميت من الأربطة. بهذا نترنم مع الرسول متهللين: "العاملان مع الله"!

"ثم قال لهم: استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ، فقدموا" (يو 2: 8).

لم نسمع أنه استدعى اسم الله أو صلى على الماء، لكنه أصدر أمرًا بملء الأجران، وفي الحال طلب تقديم ما بالأجران. لم يطلب حتى أن يقدموا له لكي يذوق ما بها.

لم يصنع المعجزة لكي يظهر ذاته علانية، بل لكي يُشبع احتياجاتهم. وقد أمر الخدام أن يقدموه في الحال. فإنه لا يهب الوزنة لكي ندفنها، بل كي نعمل دومًا، منتهزين كل فرصة للخدمة.

---

[1] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 9:5.*

لم يكن السيد المسيح "رئيس المتكأ" بل كان صديقًا للعروسين، وخادمًا للكل. هذا هو كرسي الرئاسة الحقيقية، أن يبذل الإنسان نفسه بالحب وبروح التواضع من أجل الآخرين.

"فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرًا، ولم يكن يعلم من أين هي، لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا، دعا رئيس المتكأ العريس" (يو 2: 9).

الأجران ضخمة جدًا وأفواهها متسعة، ولا يمكن سكب الخمر منها إلا بسحبها بكوز يده طويلة. إذ يليق بخادم السرّ والكارز بالإنجيل أن يمد يده إلي الأعماق، ويسحب من فيض عطية الله العظمى كمن يسحب من ينبوع إلهي لا ينضب.

"وقال له: كل إنسانٍ إنما يضع الخمر الجيدة أولاً، ومتى سكروا فحينئذ الدون، أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن" (يو 2: 10).

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** إنه لكي لا يقول أحد أن الشهادة قد صدرت عن أناس سكْرىَ لا يدرون الفارق بين الخمر والماء، جاءت الشهادة من رئيس المتكأ. وحتمًا كان رئيس المتكأ يحرص ألا يسكر، إذ يلتزم بتدبير أمر العرس بوقارٍ وحكمةٍ[1]. حرص الإنجيلي أن يقول عن رئيس المتكأ: "**ولما ذاق**"، أي لم يكن بعد قد شرب حتى من هذا الخمر، إنما ذاقه. في قانا الجليل حوَّل السيد المسيح الماء خمرًا فبعث بالفرح الروحي في كل المحفل، وفي كنيسة العهد الجديد يحول السيد المسيح بروحه القدوس الخمر إلى دمه المبذول عنا، فيبعث بالفرح السماوي في حياة مُتناوليه.

- ❖ لم يحول المسيح الماء خمرًا فحسب، لكنه صيَّره خمرًا فائق الجودة، لأن عجائب المسيح لها هذه الخاصية، وهي أن تصير أكثر بهاءً وأفضل من الأصناف المتكونة في الطبيعة بكثير، فمن هذه الجهة متى أصلح في الناس عضوًا أعرج من جسمهم، أظهر ذلك العضو أفضل من الأعضاء الصحيحة. والبرهان على أن الماء الصائر خمرًا كان خمرًا فائق الجودة، شهد به ليس الخدام وحدهم، بل ومعهم رئيس متكأ العرس.

القديس يوحنا الذهبي الفم

[1] *Homilies on St. John, Hom. 22:2.*

"هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل، وأظهر مجده، فآمن به تلاميذه" (يو 2: 10).

هنا بدأ الكشف عن مفهوم "**المجد**" في هذا السفر، وهو: "**الحضرة الإلهية**". **الله يمجدنا حينما يعلن حضوره فينا، ونحن نمجده حينما نعلن حضوره في العالم.** ففي هذه الآية أُعلن حضور الآب في ابنه وحيد الجنس، الذي يخبر عنه.

❖ الذي صنع الماء خمرًا يستطيع أن يجعل الحجارة خبزًا، فالسلطان واحد. لقد جربه الشيطان بذلك لكن المسيح لم يفعل ذلك. لأنكم تعلمون أنه عندما جُرب الرب المسيح اقترح الشيطان عليه ذلك. فقد كان جائعًا، حيث كان له ذلك كهبة منه، فقد مارس ذلك (أنه جائع) كنوعٍ من تواضعه. كان خبز (المسيح) هو الجوع، كما كان الطريق (المسيح) خائرًا، وواهب الصحة مجروحًا، والحياة ميتًا... لم يصنع خبزًا من الحجارة، ذاك الذي يمكنه بسهولة أن يحول الماء خمرًا... فإنه ليس شيء يجعل المجرب مهزومًا مثل احتقاره. وعندما غلب تجربة الشيطان "جاءت ملائكة وخدمته" (مت ٤: ١١)... لماذا فعل هذه ولم يفعل تلك؟... لأنه عندما حول الماء خمرًا ماذا يضيف الإنجيلي؟ "وآمن تلاميذه به" (يو ٢: ١١). فهل كان للشيطان أن يؤمن به؟[1]

القديس أغسطينوس

❖ إن قال قائل: لا يوجد في هذا القول دلالة كافية على أن هذه الآية هي بداية آيات المسيح لأجل إبداعها في قانا الجليل، لأنه من الممكن أن يكون فعل في غير ذلك المكان آيات أخرى غيرها. نقول له: إن يوحنا المعمدان قال من قبل عن المسيح: "**وأنا لم أكن أعرفه، لكن ليظهر لإسرائيل، لذلك جئت أعمد بالماء**" (يو 1: 31)، فلو كان المسيح فعل في أيامه المبكرة عجائب لما كان الإسرائيليون قد احتاجوا إلى آخر يعلن عنه. لأن ذاك (يسوع) الذي جاء بين الناس وبمعجزاته صار معروفًا، ليس فقط للذين في اليهودية وإنما أيضا للذين في سوريا وما وراءها، وفعل هذا في ثلاث سنوات فقط، فإنه ما كان محتاجًا إلي هذه السنوات

[1] *Sermon on N.T. Lessons, 73:2.*

الثلاث لإظهار نفسه (مت 4: 24)، لأنه كان من شهرته السابقة قد عُرف في كل موضعٍ.

أقول أن ذاك الذي في وقت قصير أشرق عليكم بالعجائب فصار اسمه معروفًا للكل، لم يكن بأقل من ذلك لو أنه في حياته المبكرة صنع عجائب وما كان يبقى غير معروف كل هذا الزمن (حتى بلغ الثلاثين من عمره). فإنه لو كان قد فعل عجائب لبدا غريبًا أن يفعله صبي... في الحقيقة لم يفعل شيئا وهو طفل سوى أمرًا واحدًا شهد له لوقا (لو 2: 36) وهو في الثانية عشر من عمره حيث جلس يسمع للمعلمين وقد دهشوا من أسئلته.

من الأرجح والمعقول انه لم يبدأ آياته في عمره المبكر، لأنه بهذا تبدو أنها أمر مخادع. إن كان وهو في سن النضوج تشكك كثيرون فيها، كم بالأكثر لو أنه صنع العجائب وهو صغير. فإن ذلك كان قد أسرع به إلي الصليب قبل الوقت المحدد، خلال سم الحقد، ولما قُبلت حقائق التدبير[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

المسيح القدير يعمل مثل الآب وبذات القدرة

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن الله الخالق الذى جبل الإنسان من التراب يقيم منه إنسانًا يحمل صورته، لايزال يعمل بكلمته الابن الوحيد ليسترد الإنسان جماله، فيصير اللؤلؤة الثمينة التي يعتز بها الثالوث ولا يتوقف عمله حتى يوم اللقاء مع مسيحنا العريس على السحاب. فإن كنا قد صرنا ماءً كما في الأجران فهو دائم العمل بكلمته ليقيم منا خمرًا سماويًا مملوء بهجة وسلامًا.

❖ أظهر المسيح قدرة الخلق بهذه المياه، لأنه ابن العامل له السلطان على الكل مثل أبيه.

الذي يظن الابنَ أصغّر من مرسله ليأتي ويرى أن القدرة واحدة لا تتجزأ؟

أبي يعمل حتى الآن مثل الخالق، وأنا اعمل كما هو (يعمل) أيضًا (يو 5: 17).

قوة واحدة، وأمر واحد، وفعل واحد، ورمز واحد، وإرادة واحدة، وسلطة واحدة...

ذاك المهندس الذي بنى وشيد الثمار في الأغصان، سكب طعمًا حلوًا بخلاف الطبيعة...

[1] *Homilies on St. John, Hom. 21:2.*

تلك الأعجوبة التي صارت هناك كانت بسيطة بالنسبة إلى قدرته العاملة المخفية فيه.

عمل الابن كان صغيرًا جدا بالنسبة إلى سلطانه، وقد بدأ في مسيرة العجائب ليس بحسب قوته،

ذاك الجبار لم يرفع الكتلة كما كان يقدر، إنما صنع أمرًا صغيرًا في العرس ليبهجهم...

من قوته انحنى قليلاً على الأجران، وأعطى التغيير لتصير المياه خمرًا جيدًا.

واحدة هي معرفة الآب وابنه بالنسبة إلى المخلوقات، وواحدة هي القدرة الخالقة بكل أشكالها...

الآب يبدّل المياه في الكروم خلال مدة طويلة وتبدّلها قدرته العاملة إلى مادة الخمر.

هذا الفعل لا يكمل إلا في مدة شهور، أما الابن الحقيقي فقد كمّل أرادته برمز صغير.

المياه لا تقتني الطعم الحلو من الكروم، قوة الخالق تملّحها بالتذوق.

الابن الذي أراد أن يبدلها بدون مدة زمنية لم يجعلها تحتاج إلى نظام الأيام والشهور[1].

القديس مار يعقوب السروجي

أين هو مَن ينكر لاهوت الابن؟

تحويل الماء إلى خمر في عُرس قانا الجليل هو أول معجزة صنعها رب المجد يسوع ليؤكِّد للبشرية أنه هو الخالق، الذى خلق الإنسان الأول من التراب على صورته ومثاله، الآن جاء الخالق نفسه ليحوِّل الماء إلى خمر. فهو الإله القدير الذى يُعلِن لاهوته لكى يجد كل إنسانٍ مهما بلغ فساده وتحطمت حياته. يرده المخلّص إلى جماله الأول ويُعِّده للمجد الأبدي ليجلس عن يمينه كما قيل جلست الملكة عن يمين الملك (مز 45: 9).

❖ أين هو الذي ظلم الابنَ (وقال): ليس إلهًا؟ ليأتِي ويرى أن قوته لا تنقص عن أبيه.

يا من يتشكك بخصوص الوحيد (ويقول) ليس أنه ليس إلهًا،

انظر فإن القدرة الخالقة ظهرت في العرس.

اتكأ في الوليمة لئلا يكفر بجنس أمه، وبدّل المياه ليكرز هناك جنس أبيه.

---

[1] راجع الميمر 167 على الآية التي صنعها ربنا في قانا الجليل (يوحنا 2:1-11)، الأب بول بيجان ود. سوني.

أقام صورة للاهوته وناسوته، وكان يتصرف حسب العظمة والإخلاء.

إنه متكئ مثل الحقير، ويصنع القوات مثل القوي ليبرهن بأنه كان إلهًا متأنسًا.

أظهر مجدَ لاهوته بالعجب الذي اجترحه، مبارك الذي بخمره أكسب طعمًا للبشر[1].

القديس مار يعقوب السروجي

[1] راجع الميمر 167 على الآية التي صنعها ربنا في قانا الجليل (يوحنا 2:1-11)، الأب بول بيجان ود. سوني.

المحتويات

أين تمت هذه المعجزة: تحويل الماء إلى خمرٍ؟ – لماذا قيل: "ودُعي أيضًا يسوع وتلاميذه إلى العرس" (يو 2: 2)؟ – أمومة القديسة مريم واهتمامها باحتياجاتنا – هل كانت القديسة مريم تؤمن أن ابنها قادر أن يُقدم للعرس خمرًا بطريقةٍ معجزية؟ – خمر يسوع يسمو بجودته على الخمر الطبيعي – لماذا دعاها "يا امرأة"؟ – القديسة مريم تدعونا للطاعة للرب – ماذا وراء الأجران الستة؟ – المسيح القدير يعمل مثل الآب وبذات القدرة – أين هو مَن ينكر لاهوت الابن؟

كانت (مريم العذراء) تعرف بأن الابن الذي أتى بدون زواج،
يقدر أن يُنجب الخمر الجيد بدون الكروم.

كانت مُتيقنة بأنه كما سكب الحليب في ثدييها،
يقدر أن يملأ الأجران شراباً جديداً.

استنادا إلى هذه الأمور التي رأتها مريم،
قالت له: لا يوجد خمر حتى يصنع الآية.

القدِّيس مار يعقوب السروجي